

رسائل الزهاوى^(١)

حضرة الأستاذ

بعد التحية والاحترام أشكر لك حسن ظنك بى أما ميلادى من حيث الزمان والمكان فتراه فى ترجمة حياتى ، وكان عدد سكان بغداد فى العهد الذى ولدت فيه مائتى ألف نسمة تقريباً وحالتها الاجتماعية يومئذ منحطة ولا غاية لأكثر رجالها إلا التزلف إلى الحكام الأتراك وولاتهم ولا منافسة إلا فى الرتب والألقاب .

واليوم قد بلغ عدد سكانها ٣٥٠٠٠٠ الفأ على وجه التقريب والأخلاق بعد الاحتلال أخذت فى التدهور والأزمة الحالية شديدة وقد منعنى الكبر والمرض أن أيسط لك المقال فى عادات القوم وتقاليدهم وآمالهم وآلامهم وما تستحقه من إصلاح وتجديد .

وأما حالة العراق العامة أيام مولدى فكان فى رخاء على الأكثر غير أن الجبل كان يسود أكثر أهله ولم تكن فيه يومئذ مدارس للذكور ولا للإناث إلا الكتاتيب وإلا المدارس القديمة الدينية وكان التعصب شديداً .

وقد بنيت الأدب على أنقاض عبد الباقي العمري والأخرس وكلاهما من الشعراء الوزانين المقلدين فلا جزالة فى ألفاظهما ولا ابتكار فى معانيهما واذكر أن شاعريتى بدأت وأنا ابن ١٥ سنة ومن أوائل شعري .

أما آن أن نأبى على الوطن العارا فنركب أخطارا ونقضى أوطارا

ولك أن تنشر ترجمتى فيما تشاء من الصحف على أن تهدي إلى نسخة منها وعليك لسلامى .

جميل صدق الزهاوى

فى ٨ أيلول سنة ١٩٣٢

(١) الكاتب المصرى عدد ١٥ (ديسمبر ١٩٤٦) .

ترجمة حياتى ملخصة

ولدت فى بغداد من أبوين كرديين فى يوم الأربعاء ١٨ حزيران سنة ١٨٦٣
أما أبى فهو مفتى العراق محمد فيضى الزهاوى الكبير ويرجع نسبه إلى امرأ
السليمانية (البابان) وهؤلاء ينتمون فى نسبهم إلى خالد بن الوليد . وشهرة
والدى بالزهاوى هى لأن أباه (جدى) أحمد بك هاجر إلى « زهاو » (بلدة
ملحقة فى يومنا هذا بإيران) وسكنها سنين وتزوج فيها بسيدة زهاوية
فولدت له أبى فلما رجع إلى السليمانية مع نجله (أبى) اشتهر أبى بالزهاوى .
وأما أمى فاسمها « بيروز » وهى سيدة عصبية المزاج من أسرة كردية
وجيهة (ولعلى ورثت العصبية منها) وكنت فى صباى أدعى بالجنون لحراكاتى
غير المألوفة وفى شبابى بالطائش لخلقى وإيغالى فى اللهو وفى كهولتى بالجرىء
لمقاومتى الاستبداد وفى شيخوختى بالزندق لمجاهرتى بأرائى الحرة الفلسفية
المخالفة لآراء الجمهور .

تعلمت كثيراً من علوم الأولين فلم تشبع عقلى وكثيراً من علوم الغربيين فيما
ترجم إلى التركية والعربية على اساتذة خصوصيين فولعت بها ودأبت على المطالعة
وتوسعت فيها وكان أول نظمى بالفارسية ثم بالعربية ونشرت لى المجلات
والصحف فى مصر وبيروت والشام وبغداد مقالات كثيرة وقصائد ناثرة وأنا
أول من دافع عن المرأة فى العراق وأول من قاوم الاستبداد فى عهد السلطان
عبد الحميد وأول من نظم القصائد القصصية وأول من ترمد على القديم وعنى
بالتجديد وقاوم التعصب .

ولم أنعم لسوء الحظ لغة غربية وقد تزوجت فى سن الثلاثين بالآنسة زكية
هانم وعمرها يومئذ ١٦ سنة وهى من بيت تركى شريف ولم يولد لنا ولد وقد
خدمتنى فى شيخوختى باخلاص وأمانة .

وعينتنى الحكومة التركية فى أول شبابى عضواً فى مجلس المعارف ببغداد
ثم مديراً المطبعة الولاية ومحوراً للقسم العربى من جريدتها الرسمية (الوزراء)
ثم عضواً فى محكمة الاستئناف وسافرت بعد سنوات إلى مصر فمكثت فيها
أسبوعاً ثم أبحرت إلى اسلامبول عاصمة البلاد العثمانية يومئذ .
وبعد سنة أرسلتنى الحكومة بأرادة سلطانية إلى اليمن واعظاً عاماً وعضواً

في الجمعية الاصلاحية وبقيت فيها ٩ أشهر ثم دعيت إلى العاصمة بارادة سنية واجتمعت في هذه المرة بالترك الأحرار وجاهرت بالسخط على نظام الحكم يومئذ ونظمت في ذلك عدة قصائد نشرت في جرائد مصر بتوقيع مستعار وأصبحت معقبا بالجواسيس وكانت النهاية أن أبعثني السلطان إلى بلادى براتب شهرى قدره ١٥ جنيه .

وأكثر شعري الذى كنت نظمته قبل الدستور العثمانى نشر في ديوانى الأول « الكلم المنظوم » ولما أعلن الدستور العثمانى عدت إلى العاصمة فعينتني الحكومة الدستورية أستاذاً للفلسفة الإسلامية وأستاذاً للآداب العربية في جامعها وقد نشرت دروسى التى كنت ألقاها في الفلسفة بمجموعة دار الفنون باللغة التركية . ثم اشتد بى المرض فألجأتني إلى الرجوع إلى بغداد أستاذاً للقانون المدنى في كلية الحقوق .

وفي ولاية ناظم باشا كانت جريدة « المؤيد » في مصر قد نشرت لى مقالة أدافع فيها عن حقوق المرأة فقامت حول هذه المقالة ضجة كبيرة وأخذ المتعصبون يزغون ويزبدون ويقذفوننى بالسب واللعن .

والمهذبون من الكتاب في مصر وسورية يناصروننى ولكن التعصب في بغداد كان يومئذ ذا صولة فلم يسع والى غير عزلى من وظيفتى إرضاء للرأى العام ثم جاء جمال باشا والياً عوضاً عن ناظم باشا فارجعنى إلى وظيفتى .

ثم انتخبت نائبا عن لواء المنتفق في البرلمان العثمانى فحضرت جلساته في اسلامبول ثم انفسخ المجلس فعدت إلى بغداد وانتخبتُ من بغداد نائبا عنها فذهبت إليها ثانية وألقيت الخطب أدافع عن حقوق العراق وعن الحق وقامت حول الضججات فلم أبال ثم بعد سنتين أو ثلاثة وقعت الواقعة وأعلنت الحرب العظمى واحتلت الجنود الانكليزية بغداد وأرادت أن تأخذنى إلى الهند أسيرا ولكننى أبرزت ورقة فيها صراحة بأنى مكاتب لجريدة المقطم المصرية (وكانت هذه الجريدة موالية للانكليز) فأفرجوا عنى .

وعينتُ في عهد الاحتلال عضواً في اللجنة التى تدير أمور المعارف ثم رئيساً للجنة تعريب القوانين التركية فعربت ١٧ قانونا بين صغير وكبير ثم ألغيت اللجنة وجاء جلالة الملك فيصل الأول المعظم وتوج ملكا على العراق واحتفل به في بغداد احتفالات باهرة كنت المفرد فيها .

ثم هاجرتُ إلى سورية فصر وأقيمت لى فى الشام وبيروت ومصر عدة حفلات ونشرت لى فى الشام وبيروت ست قصائد وفى مصر أكثر من ثلاثين قصيدة وبعد أن أعلن الدستور فى العراق رجعت إليه فعيننى جلالة الملك عضواً فى مجلس الشيوخ ثم بعد ٤ سنوات خرجت من المجلس بالاقتراع الذى كان قد نص عليه الدستور العراقى .

ثم تمت المعاهدة بين الحكومة العراقية وبريطانيا العظمى وكانت يومئذ تنشر لى « السياسة الأسبوعية » (مجلة كانت تنشر فى مصر) كل أسبوع قصيدة فغظتها حكومة مصر وقد بلغت السبعين من عمرى وبان على الهرم ووشلت أصابع قدى اليسرى منذ أكثر من عشرين سنة وما زالت الأوجاع العصبية تنتابنى وتبرح بى .

وأما مؤلفاتى فأولها رسالة باسم « الكائنات » فى الفلسفة أبدت فيها آرائى الحرة فى المكان والزمان والقوة والمادة والحياة والجاذبية وقد طبعت فى مطبعة المقتطف بمصر ونفدت نسخها . والثانى رسالة فى سباق الخيل أودعتها تجاربنى الخاصة فى ركض الخيل وقد طبعت فى مجلة الهلال بمصر . والثالث رسالة فى « الخط الجديد » نشرها المقتطف بمصر ثم فى شكل رسالة وقد نفدت نسخها وهذا الخط لا يشبه الخط العربى ولا الحروف اللاتينية ويقدر أن يتعلمه التلميذ فى أسبوع وهو جميل ويكتب متصلاً من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين ويطبع مقطعاً وفيه تسهيل للطباعة فإن كل حرف منه إذا قلب كان حرفاً آخر من الحروف الأبجدية فقام كل حرف بوظيفة حرفين وتعلم ما فى ذلك من الاقتصاد ويمكن لهذا الخط أن يتخذ خطأ عاماً لجميع اللغات . والرابع هو دروسى الفلسفية التى كنت ألقياها على تلاميذى فى جامعة الآستانة . والخامس ديوانى « الكلم المنظوم » وقد نشر فى بيروت بأول سنة للدستور العثمانى ونفدت نسخه . والسادس هو « الفجر الصادق » فى الرد على الوهابية وقد طبع فى مصر قبل الدستور العثمانى ونفدت نسخه . والسابع رسالة « الجاذبية وتعليلها » وقد طبعت فى بغداد بعد رجوعى إليها أستاذاً فى كلية الحقوق . والثامن هو ديوانى الذى طبع بمصر باسم « ديوان الزهاوى » . والتاسع هو « المجمل مما أرى » رسالة فلسفية أودعتها آرائى التى خالفت فيها علماء عصرى وبسطت فيها الناموس الدورى العام وعللت الجاذبية العامة بالدفع العام للأثير

الجارى إلى المادة طلباً للموازنة وقد طبعت بمصر قبل ثمانى سنوات . والعاشر رسالة فى لعبة الداما تحتوى على ١٥٠٠ لعبة ٥٠٠ منها لأصحابها و ١٠٠٠ من مستنبطاتى وهذه لم تطبع بعد . والحادى عشر ديوان رباعياتى وقد طبع فى بيروت قبل ثمانى سنوات طبعاً رديئاً مغلوطاً فيه . والثانى عشر ديوانى الذى طبع ببغداد قبل ٤ سنوات باسم « الباب » وأضفت إليه ١٨٠٠ رباعية من رباعياتى منقحة صحيحة وكثيراً من قصائدى المنشورة فى « ديوان الزهاوى » منقحة وما نظمته من القصائد بعده . والثالث عشر « ترجمة رباعيات الخيام » وقد ترجمتها رأساً من الفارسية ثراً ونظماً بعد إثبات الأصل الفارسى فى الصدر وهى ١٣٠ رباعية . والرابع عشر رواية تمثيلية باسم « ليلى وسمير » طبعت فى بغداد قبل سنتين ونقدت نسخها . والخامس عشر رسالة فى تسهيل القواعد العربية لم تنشر بعد . والسادس عشر هو ما نظمته بعد قصائد « الباب » باسم « الأوشال » وقد نشرت قصائده فى مجلات مصر وصحفها والشام وبيروت وبغداد ولم تنشر بعد فى شكل ديوان .

والسابع عشر هو « نزغات الشيطان » وقصائد هذا المديوان لم تنشر بعد فى المجلات والجرائد وسوف تنشر بعد موتى لأنها تصادم آراء المتعصبين وتثيرهم على إثارة لا أحمد عقباها ، والثامن عشر هى قصيدتى « ثورة فى الجحيم » وعدد أبياتها ٤٣٣ وقد نشرت فى العام الماضى فى مجلة الدهور وكانت يومئذ تصدر فى بيروت . وقد قامت حولها ضجة كبيرة ، وقد سبى بسببها بعض المتعصبين على المنابر فى خطبة صلاة الجمعة وتقدت بعد قليل من الزمن نسخها ، وفيما يلى فهرس مندرجاتها :

- ١ — منكر ونكير فى قبر الميت ووصف دقيق لهما .
- ٢ — حوار بين أحد المملكين والميت يحتوى على سئلة كثيرة ، والميت يجامل فى أجوبته .
- ٣ — مصارحة الميت .
- ٤ — وصف الصراط .
- ٥ — السؤال عن الملائكة والشياطين والجن وأجوبة الميت .
- ٦ — السؤال عن السفور والحجاب وجواب الميت .

- ٧ — السؤال عن الله وجواب الميت .
- ٨ — إلقاء الحجة .
- ٩ — الله هو الأثير والاختلاف فى الاسم .
- ١٠ — امتناع الميت عن الإفاضة فى الجواب .
- ١١ — أتركاني ولا تزعجاني .
- ١٢ — تقرير الميت للملكين .
- ١٣ — الإلحاف فى السؤال .
- ١٤ — الحوار الأخير .
- ١٥ — عذاب القبر .
- ١٦ — أخذ الميت إلى الجنة ليرى ما حرمه ثم وصف دقيق لها .
- ١٧ — قذف الميت فى الجحيم ووصف ما فيها من العذاب .
- ١٨ — حوار بين الميت وليلى فى الجحيم (ليلى فتاة فرقوا فى الجحيم بينهما وبين حبيبها) .
- ١٩ — الشعراء فى الجحيم .
- ٢٠ — عمر الخيام يتغنى فى الجحيم بالحرمة .
- ٢١ — سقراط يلقى محاضرة على الحكماء فى الجحيم .
- ٢٢ — منصور الحلاج فى الجحيم يعاتب الله .
- ٢٣ — اختراع أحد أهل الجحيم آلة تطفى السعير .
- ٢٤ — خطبة أحد شباب الجحيم يحدث بها ثورة عامة .
- ٢٥ — المعرى ينشد نشيد الثورة ويردده الجمهور .
- ٢٦ — الحرب بين الزبانية (حفظة الجحيم) وأهل الجحيم .
- ٢٧ — انجناد الشياطين فى قيادة إبليس لأهل الجحيم وانتصار الملائكة فى قيادة عزرائيل للزبانية والحرب الهائلة بينهما ، ووصف هذه الحرب وانهازم جيش الملائكة وإطفاء الجحيم .
- ٢٨ — احتلال أهل الجحيم للجنة طائر ين إبها على ظهور الشياطين .
- ٢٩ — طرد أهل الجحيم بعد احتلال الجنة إليه منها .
- ٣٠ — الخاتمة .

صديقى الأستاذ الجليل
وصل إلى كتابك الكريم وقد كلفتم فيه شيخا ههما مثلى قد نهكته السنون
وشلت رجله الأمراض مالا طاقة له به فهو مشغول بألامه عن مثل هذه
المطالب .

وقد أرسلت إليك عددا من « الأوشال » وعددا من ترجمة رباعيات الخيام
وعددا من رباعياتى على أن هذا الديوان مملوء بالأغلاط فلا تعتمد عليه واكتف
من رباعياتى بما فى الباب والأوشال أما « الكلم المنظوم » و « الفجر الصادق »
و « الكائنات » فقد نفدت نسخها ولعلك واجد كتاب الكائنات فى القاهرة
فإنه طبع فى وقته بمطبعة المقتطف . وأما محاضراتى الفلسفية التى كنت ألقها
بالتركية على تلامذتى فى جامعة الآستانة فقد كانت تطبع فى مجموعة دار الفنون
تباعا فن أين أجدها اليوم لك وقد انقطعت صلتى بها منذ سنين طويلة . وأما
ديوان العمرى والأخرس فأنا عاجز عن الحصول عليهما وأما النزاع بينى وبين
الأستاذ الرصافى فليس اليوم كما يكبره المرجفون فكثيرا ما تتلاقى كصديقين .
أما ما كتبه المستشرقون عن الأوشال فكثير غير أنى لا أحفظ العبارات
وقد كتب إلى أمين مكتبة الفاتيكان الكبرى قائلا ما خلاصته « إن ما يحتوى
عليه الأوشال هو أروع ما قرأناه من الشعر العربى العصرى » وقال لى أحد
أصحابى إن مجلة من أهم مجلات لندن الإنكليزية نشرت مقالة مفصلة فى تقرير
الأوشال غير أنى لم أحصل عليه .

وأما كتاب المستشرق الكبير الدكتور ودمر الألمانى فى ترجمة حياتى
فهو تحت الطبع على حساب أديب ألمانى آخر وقد ترجم الدكتور ودمر فى كتابه
هذا قصيدة « ثورة فى الجحيم » وخمسين قصيدة من « الباب » و ٥٣ رباعية
إلى الألمانية وعدد صفحات كتابه أكثر من ٣٠٠ وسيتم طبعه فى الخريف الآتى .
وقد جاءتنى قصاصة من برلين تحتوى على مقالة لأحد دكاترة الألمان يذكر
فيها مقابلته لى فى بغداد ويكبرنى إلى درجة لا أستحقها وجاءت مجلة ألمانية
تصدر فى برلين فيها مقالة فى ٨ صفحات تشرح المواضيع التى يحتوى عليها
كتاب « ودمر » فى .

هذا وإذا أردت الحصول على ديواني العمري والآخرس وغيرها فلك أن تراجع رأساً صاحب المكتبة العصرية ببغداد الكتبي الشهير محمود حلمي فهو قد يستطيع أن يجدها لك ويرسلهما إليك بسرهما الحقيقي وعليك سلامي .

جميل صرقي الزهاوي

بغداد في ٧ تموز سنة ١٩٣٥

وصل إلى الآن الجزء الأول من كتاب الدكتور ودمر في والظاهر أنه ترجم قصيدة « ثورة في الجحيم » بالشعر الألماني وقد طبع الكتاب على نفقة مستشرق روسي كبير وسيأتي الجزء الثاني .

الزهاوي

والله اعلم بالصواب